(١٣) سورة الرعد

قوله تعالى المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبكَ الْحَق وَلَكِن أَكْثَرَ الناس لَا يُؤْمِنُونَ.....

[١] ﴿ الٓمٓرٓ ﴾ [١] قال ابن عباس: معناه أنا الله أعلم وأرى، ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾ [٢]، يعني: تلك الأخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والإنجيل والكتاب المتقدمة، ﴿ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ [٣]، يعني: وهذا القرآن الذي أنزل إليك ﴿ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [٤] أي: هو الحق فاعتصم به، فيكون محل الذي رفعا على الابتداء والحق خبره، وقيل: محله خفض يعني تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل إليك، ثم ابتدأ الحق يعني ذلك الحق وقال ابن عباس: أراد بالكتاب القرآن، ثم قال: وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١ ﴾ [٥]، قال مقاتل: نزلت في مشركي مكة حين قالوا: إن محمدا يتولد من تلقاء نفسه، فرد قولهم ثم بين دلائل ربوبيته، فقال عز من قائل:

[٢] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾ [٦] يعني: السواري واحدها عمود مثل أديم وأدم وعمد أيضا جمعه مثل رسول ورسل، معناه نفي العمد أصلا هو الأصح يعني ليس من دونا دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى

---

(١) سورة الرعد آية : ١.

(٢) سورة الرعد آية : ١.

(٣) سورة الرعد آية : ١.

(٤) سورة الرعد آية : ١.

(٥) سورة الرعد آية : ١.

(٦) سورة الرعد آية : ٢.

ٱلْعَرْشِ ۖ ﴾ [١]، علا عليه، ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ ﴾ [٢]، ذللها لمنافع خلقه فهما مقهوران، ﴿ كُلٌّ يَجْرِى ﴾ [٣]، أي: يجريان على ما يريد الله ﷻ ﴿ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [٤]، أي: إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا. وقال ابن عباس. أراد بالأجل المسمى درجاتما ومنازلهما ينتهيان إليها ولا يجاوزانا، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [٥]، يقضيه وحده، ﴿ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ ﴾ [٦]، يبين الدلالات، ﴿ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ ﴾ [٧]، لكي توقنوا بوعده وتصدقوه.

[٣] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ [٨]، بسطها، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ [٩]، جبالا ثابتة، واحدتا: راسية ﴿ وَأَنْهَـٰرًا ۖ ﴾ [١٠] أي: وجعل فيها أنارا. ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ ﴾ [١١]، أي: صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا، ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ ﴾ [١٢]،

---

(١) سورة الرعد آية : ٢.
(٢) سورة الرعد آية : ٢.
(٣) سورة الرعد آية : ٢.
(٤) سورة الرعد آية : ٢.
(٥) سورة الرعد آية : ٢.
(٦) سورة الرعد آية : ٢.
(٧) سورة الرعد آية : ٢.
(٨) سورة الرعد آية : ٣.
(٩) سورة الرعد آية : ٣.
(١٠) سورة الرعد آية : ٣.
(١١) سورة الرعد آية : ٣.
(١٢) سورة الرعد آية : ٣.

أي: يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بضوء النهار ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [١]، فيستدلون، والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء.

[٤] ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ [٢]، متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت، وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع، ﴿ وَجَنَّٰتٌ ﴾ [٣]، أي: بساتين ﴿ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ﴾ [٤] الصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد، ﴿ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ [٥] هي النخلة المنفردة بأصلها. وقال أهل التفسير: صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام قنوان جمع قنو ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ﴾ [٦] قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب ماله يسقي بالياء أي: يسقى ذلك كله بماء واحد وقرأ الآخرون بالتاء لقوله تعالى: ﴿ وَجَنَّٰتٌ ﴾ [٧] ولقوله تعالى من بعد ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ﴾ [٨] ولم يقل بعضه، والماء جسم رقيق مائع به حياة كل نام، ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾ [٩]، في الثمر والطعم، قرأ حمزة

---

(١) سورة الرعد آية : ٣.
(٢) سورة الرعد آية : ٤.
(٣) سورة الرعد آية : ٤.
(٤) سورة الرعد آية : ٤.
(٥) سورة الرعد آية : ٤.
(٦) سورة الرعد آية : ٤.
(٧) سورة الرعد آية : ٤.
(٨) سورة الرعد آية : ٤.
(٩) سورة الرعد آية : ٤.

والكسائي (ويفصل) بالياء، لقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ ﴾ [1]. وقرأ الآخرون بالنون على معنى. ونحن نفضل بعضها على بعض في الأكل، وجاء في الحديث: ﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ ﴾ [2]. قال الفارسي: كجيد التمر والدقل والحلو والحامض. قال مجاهد: كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد. قال الحسن: هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم، كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن ﷻ فسطحها فصارت قطعا متجاورة فينزل عليها المطر من السماء فتخرج هذه زهرتا وشجرها وثمرها ونباتا وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها، وكل يسقى بماء واحد، كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع، وتقسو قلوب فتلهو، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ [3] الـذي ذكـرت ﴿ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [4].

[5] ﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ [5] العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة والخطاب لرسول الله ﷺ ومعناه إنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق فعجب أمرهم، وكان المشركون ينكرون البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى، وقد تقرر في القلوب أن الإعادة أهون من الابتداء، فهذا موضع العجب، وقيل: معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونا وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الأمثال

(١) سورة الرعد آية : ٢.
(٢) سورة الرعد آية : ٤.
(٣) سورة الرعد آية : ٤.
(٤) سورة الرعد آية : ٤.
(٥) سورة الرعد آية : ٥.

فعجب قولهم، أي: فتعجب أيضا من قولهم، ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا ﴾ [1]، بعد الموت، ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ ﴾ [2]، أي: نعاد خلقا جديدا كما كنا قبل الموت قال الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ ﴾ [3] يوم القيامة ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [4].

[٦] قوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [5]، الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيء وقته، والسيئة هاهنا هي العقوبة والحسنة العافية، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزاء منهم يقولون: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليـم. ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ ﴾ [6]، أي: مضت من قبلهم في الأمم التي عصت ربا وكذبت رسلهـا العقوبـات، والمثلات جمـع المثلـة بفتـح الميم وضم الثاء مثل صدقة وصـدقات. ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ [7].

---

(١) سورة الرعد آية : ٥.

(٢) سورة الرعد آية : ٥.

(٣) سورة الرعد آية : ٥.

(٤) سورة الرعد آية : ٥.

(٥) سورة الرعد آية : ٦.

(٦) سورة الرعد آية : ٦.

(٧) سورة الرعد آية : ٦.

[٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ﴾ [١]، أي: على محمد ﷺ ﴿ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ [٢] أي: علامة وحجة على نبوته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞ ﴾ [٣]، مخوف، ﴿ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ۝٧ ﴾ [٤]، أي: لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى، وقال الكلبي: داع يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة. وقال عكرمه: الهادي محمد ﷺ يقول إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أي داع، وقال سعيد بن جبير: الهادي هو الله تعالى.

[٨] قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ [٥]، من ذكر أو أنثى سوي الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ ﴾ [٦]، أي: ما تنقص ﴿ وَمَا تَزۡدَادُۖ ﴾ [٧]، قال أهل التفسير: غيض الأرحام الحيض على الحمل، فإذا حاضت الحامل كان نقصانا في الولد، لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا أهرقت الدم ينقص الغذاء فينتقص الولد، وإذا لم تحض يزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم. وقيل: إذا حاضت ينتقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا فإن رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء والزيادة في المدة. وقال الحسن: غيضها نقصانا من تسعة أشهر والزيادة زيادتا على تسعة أشهر. وقيل: النقصان السقط، والزيادة تمام الخلق، وأقل مدة الحمل ستة أشهر، فقد

---

(١) سورة الرعد آية : ٧.

(٢) سورة الرعد آية : ٧.

(٣) سورة الرعد آية : ٧.

(٤) سورة الرعد آية : ٧.

(٥) سورة الرعد آية : ٨.

(٦) سورة الرعد آية : ٨.

(٧) سورة الرعد آية : ٨.

يولد المولود لهذه المدة ويعيش ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ ﴾ [1]، أي: بتقدير وحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه.

[٩] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [2]، الذي كل شيء دونه ﴿ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ [3] على كل شيء.

[١٠] قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [4]، أي: يستوي في علم الله السر بالقول والجاهر به، ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ ﴾ [5]، أي: مستتر بظلمة الليل، ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ ﴾ [6]، أي: ذاهب في سربه ظاهر، والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق، قال القتيبي: سارب بالنهار أي متصرف في حوائجه، قال ابن عباس: هو صاحب ريبة مستخف بالليل فإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم، وقيل: مستخف بالليل أي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا كتمته، وسارب بالنهار أي: متوار داخل في سرب.

[١١] ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ ﴾ [7]، أي: لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار صعدت ملائكة الليل جاء في عقبها ملائكة النهار وإذا صعدت ملائكة النهار جاء في عقبها ملائكة الليل، والتعقيب: العود بعد البدء وإنما ذكر بلفظ التأنيث لأن واحدها معقب، وجمعه معقبة، ثم جمع الجمع معقبات كما قيل أبناوات سعد

---

(١) سورة الرعد آية : ٨.

(٢) سورة الرعد آية : ٩.

(٣) سورة الرعد آية : ٩.

(٤) سورة الرعد آية : ١٠.

(٥) سورة الرعد آية : ١٠.

(٦) سورة الرعد آية : ١٠.

(٧) سورة الرعد آية : ١١.

ورجالات بكر ﴿ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ ﴾ [1]، يعني: من قدام هذا المستخفي بالليـل والسارب بالنهـار، ومـن خلفـه من وراء ظهره، ﴿ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [2]، يعني: بأمر الله، أي: يحفظونه بإذن الله ما لم يجىء القدر، فإذا جاء القدر خلوا عنه. وقيل: يحفظونه من أمر الله أي مما أمر الله به من الحفظ عنه. قال مجاهد: ما من عبد إلا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ ﴾ [3]، من العافية والنعمة، ﴿ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [4]، من الحال الجميلة فيعصوا ربهم، ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا ﴾ [5]، أي: عذابا وهلاكا ﴿ فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ ﴾ [6] أي: لا راد له، ﴿ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ۝١١ ﴾ [7]، أي: ملجأ يلجئون إليه، وقيل: والٍ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

[١٢] قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾ [8]، قيل: خوفا من الصاعقة طمعا في نفع المطر، وقيل: الخوف للمسافر يخاف منه الأذى أو المشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة، وقيل: الخوف من المطر في غير مكانه وأبانه والطمع إذا كان في مكانه وأبانه ومن البلدان ما إذا مطروا قحطوا وإذ لم يمطروا أخصبوا. ﴿ وَيُنشِئُ

(١) سورة الرعد آية : ١١.
(٢) سورة الرعد آية : ١١.
(٣) سورة الرعد آية : ١١.
(٤) سورة الرعد آية : ١١.
(٥) سورة الرعد آية : ١١.
(٦) سورة الرعد آية : ١١.
(٧) سورة الرعد آية : ١١.
(٨) سورة الرعد آية : ١٢.

ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ [1]، بالمطر. يقال: أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبداها فبدت، والسحب جمع واحدتا سحابة.

[١٣] ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [2]، قال ابن عباس: من سمع صوت الرعد فقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلى ديته، وعن عبد الله بن الزبير: أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ [3]، أي: تسبح الملائكة من خيفة الله ﷻ وخشيته ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ ﴾ [4]، جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه، ﴿ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ ﴾ [5]، يخاصمون، ﴿ فِى ٱللَّهِ ﴾ [6] نزلت في شأن أربد بن ربيعة حيث قال للنبي ﷺ مم ربك آمن دُرّ أم من يا قوت أم من ذهب؟ فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [7]، قال علي ﷺ شديد الأخذ. وقال ابن عباس: شديد الحول، وقال مجاهد: شديد القوة. وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة. وقيل: شديد المكر. والمحال والمماحلة المماكرة والمغالبة.

---

(١) سورة الرعد آية : ١٢.

(٢) سورة الرعد آية : ١٣.

(٣) سورة الرعد آية : ١٣.

(٤) سورة الرعد آية : ١٣.

(٥) سورة الرعد آية : ١٣.

(٦) سورة الرعد آية : ١٣.

(٧) سورة الرعد آية : ١٣.

قوله تعالى لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ....

[١٤] ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ ﴾ [(١)]، أي: لله دعوة الصدق. قال علي ﷺ دعوة الحق التوحيد. وقال ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الدعاء بالإخلاص والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [(٢)]، أي: يعبدون الأصنام من دون الله تعالى. ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ [(٣)]، أي: لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضر. ﴿ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ ﴾ [(٤)]، أي: إلا كباسط كفيه ليقبض على الماء والقابض على الماء لا يكون في يده شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء، كذلك الذين يدعون الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع لا يكون بيده شيء. وقيل: معناه كالرجل العطشان الجالس على شفير البئر يمد يده إلى البئر فلا يبلغ قعر البئر إلى الماء ولا يرتفع إليه الماء فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له، ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم نداؤها ودعاؤها، وهي لا تقدر على شيء، وعن ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه إلى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بما الماء ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسطا كفيه، مثل ضربه الله لخيبة الكفار. ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [(٥)]، أصنامهم، ﴿ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [(٦)]، يضل عنهـم إذا احتاجوا إليه كما قال: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا

---

(١) سورة الرعد آية : ١٤.

(٢) سورة الرعد آية : ١٤.

(٣) سورة الرعد آية : ١٤.

(٤) سورة الرعد آية : ١٤.

(٥) سورة الرعد آية : ١٤.

(٦) سورة الرعد آية : ١٤.

كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]، ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ ﴾ [2] وقال الضحاك عن ابن عباس: وما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى.

[١٥] ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا ﴾ [3]، يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿ وَكَرۡهًا ﴾ [4]، يعني: المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف. ﴿ وَظِلَٰلُهُم ﴾ [5] يعني: ظلال الساجدين طوعا وكرها تسجد لله ﷻ طوعا. قال مجاهد: ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع، وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره. ﴿ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿١٥﴾ ﴾ [6]، يعني إذا سجد بالغدو والعشي يسجد معه ظله، والآصال: جمع الأصل والأصل جمع الأصيل وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس. وقيل: ظلالهم أي: أشخاصهم بالغدو والآصال بالبكر والعشايا. وقيل: سجود الظل تذليله لما أريد له.

[١٦] قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [7]، أي: خالقهما ومدبرهما فسيقولون الله، إنهم يقرون بأن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض إذا أجابوك، فقل أنت أيضا يا محمد: الله. وروي أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا: أجب أنت، فأمره الله ﷻ فقال: ﴿ قُلۡ ﴾ [8]،

---

(١) سورة الأنعام آية : ٢٤.

(٢) سورة فصلت آية : ٤٨.

(٣) سورة الرعد آية : ١٥.

(٤) سورة الرعد آية : ١٥.

(٥) سورة الرعد آية : ١٥.

(٦) سورة الرعد آية : ١٥.

(٧) سورة الرعد آية : ١٦.

(٨) سورة الرعد آية : ١٦.

أنت يا محمد، ﴿ ٱللَّهُ ﴾ [1]، ثم قال الله لهم إلزاما للحجة: ﴿ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [2]، معناه: إنكم مع إقراركم بأن الله خالق السماوات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله، يعني: الأصنام، وهم ﴿ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا ﴾ [3] فكيف يملكون لكم؟ ثم ضرب لهم مثلا فقال: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ [4]، كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن، ﴿ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ ﴾ [5] أي: كما لا يستوي الظلمات والنور لا يستوي الكفر والإيمان. ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ ﴾ [6]، أي: جعلوا، ﴿ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [7]، أي: اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يدرون ما خلق الله وما خلق آلهتهم ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [8].

ثم ضرب الله تعالى مثلين للحق والباطل.

---

(١) سورة الرعد آية : ١٦.

(٢) سورة الرعد آية : ١٦.

(٣) سورة الرعد آية : ١٦.

(٤) سورة الرعد آية : ١٦.

(٥) سورة الرعد آية : ١٦.

(٦) سورة الرعد آية : ١٦.

(٧) سورة الرعد آية : ١٦.

(٨) سورة الرعد آية : ١٦.

[١٧] فقال ﷻ ﴿ أَنزَلَ ﴾ [١] يعني الله ﷻ ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ [٢]، يعني المطر، ﴿ فَسَالَتْ ﴾ [٣]، من ذلك الماء ﴿ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ [٤]، أي: في الصغر والكبر، ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ ﴾ [٥]، الذي حدث من ذلك الماء، ﴿ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ ﴾ [٦]، الزبد الخبث الذي يظهر على وجه الماء، رابيا أي عاليا مرتفعا فوق الماء الصافي الباقي هو الحق. والذاهب الزائل الذي يتعلق بالأشجار وجوانب الأودية هو الباطل. وقيل: قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن والأودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن، فتحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهـل، فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله ﷻ ﴿ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [٧]، قـرأ حـمزة والكسائي وحفص ﴿ يُوقِدُونَ ﴾ [٨] بالياء لقوله تعالى: ﴿ مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [٩]، ولا مخاطبة ها هنا، قرأ الآخرون بالتاء وما توقدون، أي: ومن الذي توقدون عليه النار، والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب، ﴿ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ ﴾ [١٠]، أي: لطلب زينة، وأراد الذهب والفضة لأن الحلية تطلب منهما، ﴿ أَوْ مَتَـٰعٍ ﴾ [١١] أي: طلب متاع وهو

(١) سورة الرعد آية : ١٧.
(٢) سورة الرعد آية : ١٧.
(٣) سورة الرعد آية : ١٧.
(٤) سورة الرعد آية : ١٧.
(٥) سورة الرعد آية : ١٧.
(٦) سورة الرعد آية : ١٧.
(٧) سورة الرعد آية : ١٧.
(٨) سورة الرعد آية : ١٧.
(٩) سورة الرعد آية : ١٧.
(١٠) سورة الرعد آية : ١٧.
(١١) سورة الرعد آية : ١٧.

ما ينتفع به، وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص، والصفر تذاب فيتخذ منها الأواني وغيرها مما ينتفع بها، ﴿ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ ﴾ [1] أي: إذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء، فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق، والزبد الذي لا ينتفع به مثل الباطل، ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ ﴾ [2]، الذي علا السيل ﴿ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ ﴾ [3] أي: ضائعا باطلا، والجفاء ما رمى به الوادي من الزبد والقدر إلى جنباته، يقال: جفا الوادي وأجفأ إذا ألقى غثاءه، وأجفأت القدر وجفأت إذا غلت وألقت زبدها، فإذا سكنت لم يبق فيها شيء معناه: إن الباطل وإن علا في وقت فإنه يضمحل. وقيل: جفاء أي: متفرقا. يقال: جفأت الريح الغيم إذا فرقته وذهبت به، ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [4]، يعني: الماء والذهب والفضة والصفر والنحاس، ﴿ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [5]، أي: يبقى ولا يذهب، ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ [6]، جعل الله هذا مثالا للحق والباطل، يعني أن الباطل كالزبد يذهب ويضيع والحق كالماء يبقى في القلوب. وقيل: هذا تسلية للمؤمنين، يعني: أن أمر المشركين كالزبد يرى في الصورة شيئا وليس له حقيقة، وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له البقاء والثبات.

---

(١) سورة الرعد آية : ١٧.

(٢) سورة الرعد آية : ١٧.

(٣) سورة الرعد آية : ١٧.

(٤) سورة الرعد آية : ١٧.

(٥) سورة الرعد آية : ١٧.

(٦) سورة الرعد آية : ١٧.

[١٨] قوله تعالـى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ ﴾ [١] أجابوا، ﴿ لِرَبِّهِمُ ﴾ [٢]، فأطاعوه، ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [٣] الجنة، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ ﴾ [٤]، أي: لبذلوا ذلك يوم القيامة افتداء من النار، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [٥] قال إبراهيم النخعي: سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء، ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ ﴾ [٦] في الآخرة ﴿ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ [٧]، الفراش، أي: بئس ما مهد لهم.

قوله تعالى أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبكَ الحَق كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَمَا يَتذَكرُ أولُو الأَلْبَابِ....

[١٩] قوله تعالى. ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [٨]، فيؤمن به ويعمل بما فيه، ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ ﴾ [٩]، عنه لا يعلمه ولا يعمل به، قيل: نزلت في حمزة وأبي جهل، وقيل: في عمار وأبي جهل، فالأول حمزة أو عمار والثاني أبو جهل، وهو

(١) سورة الرعد آية : ١٨.
(٢) سورة الرعد آية : ١٨.
(٣) سورة الرعد آية : ١٨.
(٤) سورة الرعد آية : ١٨.
(٥) سورة الرعد آية : ١٨.
(٦) سورة الرعد آية : ١٨.
(٧) سورة الرعد آية : ١٨.
(٨) سورة الرعد آية : ١٩.
(٩) سورة الرعد آية : ١٩.

الأعمى، أي: لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصره ولا يتبعه. ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ [1] يتعظ، ﴿ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [2] ذوو العقول.

[٢٠] ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ [3] بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه. ﴿ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ ﴾ [4]، وقيل: أراد العهد الذي أخذه على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه.

[٢١] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ [5]، قيل: أراد به الإيمان بجميـع الكتب والرسل ولا يفرقون بينهما، والأكثرون على أنه أراد به صلة الرحم ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ ﴾ [6].

[٢٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ [7]، على طاعة الله، وقال ابن عباس: على أمر الله ﷻ وقال عطاء: على المصائب والنوائب. وقيل: عن الشهوات. وقيل: عن المعاصي. ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [8]، طلب تعظيمـه أن يخالفوه، ﴿ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [9]، يعني يؤدون الزكاة، ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [10]، روي

---

(١) سورة الرعد آية : ١٩.
(٢) سورة الرعد آية : ١٩.
(٣) سورة الرعد آية : ٢٠.
(٤) سورة الرعد آية : ٢٠.
(٥) سورة الرعد آية : ٢١.
(٦) سورة الرعد آية : ٢١.
(٧) سورة الرعد آية : ٢٢.
(٨) سورة الرعد آية : ٢٢.
(٩) سورة الرعد آية : ٢٢.
(١٠) سورة الرعد آية : ٢٢.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يدفعون بالصالح من العمل السيئ من العمل، وهو معنى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ﴾ [1]، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها، السر بالسر والعلانية بالعلانية ﴾ [2].

وقال ابن كيسان: معنى الآية يدفعون الذنب بالتوبة. وقيل: لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير.

وقال القتيبي: معناه إذا سفه عليهم حلموا، فالسفه: السيئة، والحلم: الحسنة. وقال قتادة: ردوا عليهم معروفا نظيره قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [3]، وقال الحسن: إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4]، يعني الجنة، أي: عاقبتهم دار الثواب. ثم بين ذلك فقال:

[٢٣] ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ [5]، بساتين إقامة، ﴿ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [6]، قيل: من أبواب الجنة. وقيل: من أبواب القصور.

---

(١) سورة هود آية : ١١٤.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ١٦٩ بلفظ: "إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها" وأشار الحافظ السيوطي في جامعه الصغير إلى تصحيح هذه الرواية، وذكر أخرى بلفظ: "إذا عملت سيئة فأحدث عندها توبة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية" رواها الإمام أحمد عن عطاء مرسلا.

(٣) سورة الفرقان آية : ٦٣.

(٤) سورة الرعد آية : ٢٢.

(٥) سورة الرعد آية : ٢٣.

(٦) سورة الرعد آية : ٢٣.

[٢٤] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم ﴾ [١]، أي: يقولون سلام عليكم. وقيل: يقولون سلمكم الله من الآفات التي تخافون منها. قال مقاتل: يدخلون عليهم في مقدار يوم وليلة من أيام الدنيا ثلاث كرات معهم الهدايا والتحف من الله ﷻ يقولون سلام عليكم ﴿ بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [٢].

[٢٥] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ [٣]، هذا في الكفـار. ﴿ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ [٤]، أي: يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض. وقيل: يقطعون الرحم، ﴿ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٥]، أي: يعملون بالمعاصي، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [٦]، يعني: النار، وقيل: سوء المنقلب لأن منقلب الناس دورهم.

[٢٦] قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ ﴾ [٧]، أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [٨]، يعني: مشركي مكة أشروا وبطروا، والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى، ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا

(١) سورة الرعد آية : ٢٤.
(٢) سورة الرعد آية : ٢٤.
(٣) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٤) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٥) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٦) سورة الرعد آية : ٢٥.
(٧) سورة الرعد آية : ٢٦.
(٨) سورة الرعد آية : ٢٦.

مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1] أي: قليل ذاهب. قال الكلبي: كمثل القصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب.

[٢٧] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [2]، من أهل مكة ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [3] أي: يهدي إليه من يشاء بالإنابة. وقيل: يرشد إلى دينه من يرجع إليه بقلبه.

[٢٨] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [4]، في محل النصب بدل من قوله: ﴿ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [5]، ﴿ وَتَطۡمَئِنُّ ﴾ [6]، تسكن، ﴿ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [7] قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك، ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [8]، تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين، قال ابن عباس: هذا في الحلف، يقول: إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه، فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ [9]، فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟ قيل: الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند

---

(١) سورة الرعد آية : ٢٦.
(٢) سورة الرعد آية : ٢٧.
(٣) سورة الرعد آية : ٢٧.
(٤) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٥) سورة الرعد آية : ٢٧.
(٦) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٧) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٨) سورة الرعد آية : ٢٨.
(٩) سورة الأنفال آية : ٢.

ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت وعيد الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه.

قوله تعالى الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ....

[٢٩] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [(١)]، ابتداء، وقولـه: ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ [(٢)] خبره، واختلفوا في تفسير ﴿ طُوبَىٰ ﴾ [(٣)] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: فرح لهم وقرة عين. وقال عكرمة: نعم مالهم. وقال قتادة: حسنى لهم. وقال معمر، عن قتادة: هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيرا. وقال إبراهيم: خير لهم وكرامة. قال الفراء: أصله من الطيب والواو فيه لضمة الطاء وفيه لغتان، تقول العرب: طوباك وطوبى لك أي لهم الطيب. ﴿ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(٤)] أي: حسن المنقلب. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: طوبى اسم الجنة بالحبشية. وقال الربيع: هو البستان بلغة الهند. وروي عن أبي أمامة وأبي هريرة وأبي الدرداء قال: طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها [(٥)].

[٣٠] قـولـه تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ ﴾ [(٦)] أي: كمـا أرسلنا الأنبياء إلى الأمـم أرسلنـاك إلى هـذه الأمـة، ﴿ قَدْ خَلَتْ ﴾ [(٧)]، مضت، ﴿ مِن قَبْلِهَآ

(١) سورة الرعد آية : ٢٩.

(٢) سورة الرعد آية : ٢٩.

(٣) سورة الرعد آية : ٢٩.

(٤) سورة الرعد آية : ٢٩.

(٥) انظر صحيح البخاري (٦٥٥٢، ٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٦-٢٨٢٨) كتاب صفة الجنة.

(٦) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٧) سورة الرعد آية : ٣٠.

أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ ﴾ [1]، لتقرأ، ﴿ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ ﴾ [2]، قال قتادة ومقاتل وابن جريج: الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ واتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي: ﴿ اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ [3]، قالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، اكتب كـما كنت تكتب باسمك اللهم، فـهذا معنـى قـولـه: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ ﴾ [4]، والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها: أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو: يا الله يا رحمن، فرجع إلى المشركين فقال: إن محمدا يدعو إليهن يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [5]، وروى الضحاك عن ابن عباس: أنا نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا لله للرحمن قالوا وما الرحمن؟ قـال الله تعالى. ﴿ قُلْ ﴾ [6]، لهم يا محمد إن

(١) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٢) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٣) مسلم الجهاد والسير (١٧٨٤)، أحمد (٢٦٨/٣).

(٤) سورة الرعد آية : ٣٠.

(٥) سورة الإسراء آية : ١١٠.

(٦) سورة إبراهيم آية : ٣٠.

الرحمن الذي أنكرتم معرفته ﴿ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [1]، اعتمدت ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [2] أي: توبتي ومرجعي.

[٣١] قـولـه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾ [3] فأذهبت عن وجه الأرض، ﴿ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ ﴾ [4] أي: شققت فجـعلت أنارا وعيونا ﴿ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ ﴾ [5]، أي: في هذه الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، ﴿ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [6]، قال أكثر المفسرين: معناه أفلم يعلم. قال الكلبي: هي لغة النخع. وقيل: هي لغة هوازن، يدل عليه قراءة ابن عباس: (أفلم يتبين الذين آمنوا)، وأنكر الفراء أن يكون ذلك بمعنى العلم وزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول: يئست بمعنى علمت، ولكن معنى العلم فيه مضمر، وذلـك أن أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا هذا من المشركين طمعـوا في أن يفعـل الله مـا سألوا فيؤمنوا فنزل: ﴿ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [7] يعني: الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء أي لم ييأسوا علما وكل من علم شيئا يئس من خلافه، يقول: ألم ييئسهم العلم، ﴿ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ ﴾ [8]

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٠.
(٢) سورة الرعد آية : ٣٠.
(٣) سورة الرعد آية : ٣١.
(٤) سورة الرعد آية : ٣١.
(٥) سورة الرعد آية : ٣١.
(٦) سورة الرعد آية : ٣١.
(٧) سورة الرعد آية : ٣١.
(٨) سورة الرعد آية : ٣١.

من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿ قَارِعَةٌ ﴾ [١] أي: نازلة وداهية تقرعهم من أنواع البلاء أحيانا بالجدب وأحيانا بالسلب وأحيانا بالقتل والأسر ﴿ أَوْ تَحُلُّ ﴾ [٢]، يعني: القارعة، ﴿ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ [٣]، وقيل: أو تحل أي تنزل أنت يا محمد بنفسك قريبا من ديارهم، ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [٤]، قيل: يوم القيامة. وقيل: الفتح والنصر وظهور رسول الله ﷺ ودينه. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [٥]، وكان الكفار يسألون هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله تسلية لنبيه ﷺ

[٣٢] ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [٦]، كما استهزءوا بك، ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٧]، أمهلتهم وأطلت لهم المدة ومنه الملوان وهما الليل والنهار، ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ ﴾ [٨] عاقبتهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار، ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [٩]، أي: عقابي لهم.

[٣٣] ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ ﴾ [١٠] أي: حافظها ورازقها وعالم بها ومجازيها بما عملت، وجوابه محذوف تقديره: كمن ليس بقائم بل عاجز عن

---

(١) سورة الرعد آية : ٣١.
(٢) سورة الرعد آية : ٣١.
(٣) سورة الرعد آية : ٣١.
(٤) سورة الرعد آية : ٣١.
(٥) سورة الرعد آية : ٣١.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٢.
(٧) سورة الرعد آية : ٣٢.
(٨) سورة الرعد آية : ٣٢.
(٩) سورة الرعد آية : ٣٢.
(١٠) سورة الرعد آية : ٣٣.

نفسه، ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ ﴾ [١] بينوا أسماءهم وقيل صفوهم ثم انظروا هل هي أهل لأن تعبد ﴿ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ ﴾ [٢] أي: تخبرون الله ﴿ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٣] فإنه لا يعلم لنفسه شريكا ولا في الأرض إلها غيره ﴿ أَم بِظَٰهِرٖ ﴾ [٤] يعني: أم تتعلقون بظاهر، ﴿ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ ﴾ [٥]، مسموع وهو في الحقيقة باطل لا أصل له. وقيل: بزائل من القول ﴿ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ ﴾ [٦]. كيدهـم. وقال مجاهد: شركهم وكذبهم على الله، ﴿ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ ﴾ [٧] أي: صرفوا عن الدين ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ ﴾ [٨]. بخذلانه إياه، ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٩].

[٣٤] ﴿ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [١٠]، بالقتل والأسر، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ ﴾ [١١]، أشد ﴿ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ [١٢] مانع يمنعهم من العذاب.

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٢) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٣) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٤) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٧) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٨) سورة الرعد آية : ٣٣.
(٩) سورة الرعد آية : ٣٣.
(١٠) سورة الرعد آية : ٣٤.
(١١) سورة الرعد آية : ٣٤.
(١٢) سورة الرعد آية : ٣٤.

قوله تعالى مَثَلُ الْجَنةِ الِتي وُعِدَ الْمتقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُهَا.....

[٣٥] قوله ﷻ ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ ﴾ [١] صفة الجنة، كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ [٢] أي: الصفة العليا، ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴾ [٣] أي: صفة الجنة التي وعد المتقون أن الأنار تجري من تحتها. وقيل: مثل صفة مجازها الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنار. ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾ [٤] أي: لا ينقطع ثمرها ونعيمها، ﴿ وَظِلُّهَا ۚ ﴾ [٥] أي: ظلها ظليل لا يزول وهو رد على الجهمية حيث قالوا إن نعيم الجنة يفنى. ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ﴾ [٦] أي عاقبة ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ ﴾ [٧] يعني الجنة، ﴿ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٨].

[٣٦] قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [٩] يعني: القرآن وهم أصحاب محمد ﷺ ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ ﴾ [١٠] من القرآن، ﴿ وَمِنَ

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٢) سورة النحل آية : ٦٠.
(٣) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٤) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٧) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٨) سورة الرعد آية : ٣٥.
(٩) سورة الرعد آية : ٣٦.
(١٠) سورة الرعد آية : ٣٦.

﴿ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ [1] يعني: الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وهم اليهود والنصارى، ﴿ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ ﴾ [2]، هذا قول مجاهد وقتادة. وقال الآخرون: كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ساءهم قلة ذكره في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة، فلما كرر الله ذكره في القرآن فرحوا به فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ ﴾ [3] يعني: مشركي مكة حين كتب رسول الله ﷺ في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله ﷻ ﴿ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [4]، ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ ﴾ [5]، وإنما قال: ﴿ بَعْضَهُۥ ۚ ﴾ [6] لأنهم كانوا لا ينكرون ذكر الله وينكرون ذكر الرحمن. ﴿ قُلْ ﴾ [7]، يا محمد، ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [8] أي: مرجعي.

(١) سورة الرعد آية : ٣٦.
(٢) سورة الرعد آية : ٣٦.
(٣) سورة الرعد آية : ٣٦.
(٤) سورة الأنبياء آية : ٣٦.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٠.
(٦) سورة الرعد آية : ٣٦.
(٧) سورة الرعد آية : ٣٦.
(٨) سورة الرعد آية : ٣٦.

[٣٧] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [١]، يقول: كما أنزلنا إليك الكتاب يا محمد فأنكره الأحزاب كذلك أنزلنا إليك الحكـم والدين عربيا، نسب إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب. وقيل: نظم الآية كما أنزل الكتب على الرسل بلغاتم فكذلك أنزلنا عليك الكتاب حكما عربيا. ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾ [٢]. وقيل: في القبلة، ﴿ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [٣] يعني: من ناصر ولا حافظ.

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ [٤]، روي أن اليهود، وقيل: إن المشركين قالوا: إن هذا الرجل ليست له همة إلا في النساء فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [٥]، وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٦]، يقول: لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فيه. وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره أي: لكل كتاب أجل ومدة أي: الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه.

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٧.

(٢) سورة الرعد آية : ٣٧.

(٣) سورة الرعد آية : ٣٧.

(٤) سورة الرعد آية : ٣٨.

(٥) سورة الرعد آية : ٣٨.

(٦) سورة الرعد آية : ٣٨.

[٣٩] ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [١]، قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم ويعقوب ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ [٢] بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد. واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير وقتادة: يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. وقال ابن عباس: يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة وقيل: معنى الآية إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب، مثل قوله: أكلت، شربت، دخلت، خرجت، ونحوها من كلام هو صادق فيه، ويثبت ما فيه ثواب وعقاب، هذا قول الضحاك والكلبي. وقال الكلبي: يكتب القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب، وقال عطية عن ابن عباس: هو الرجل يعمل بطاعة الله ﷻ ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو في طاعة الله ﷻ فهـو الذي يثبت. وقال الحسن: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [٣] أي من جاء أجله يذهـب بـه ويثبت من لم يجىء أجلـه إلى يوم أجله. وعن سعيد ابن جبير قال: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [٤] من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها. وقال عكرمة: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [٥] من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات، كما قال الله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [٦].

(١) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٢) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٣) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٤) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٥) سورة الرعد آية : ٣٩.
(٦) سورة الفرقان آية : ٧٠.

وقال السدي: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [1] يعني القمر ﴿ وَيُثْبِتُ ۖ ﴾ [2] يعني الشمس بيانه قوله تعالى: ﴿ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [3] وقال الربيع: هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محاه فأمسكه ومن أراد بقاءه أثبته ورده إلى صاحبه، بيانه قوله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [4] الآية. ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [5]، أي: أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير. وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هما كتابان: كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وأم الكتاب الذي لا يغير منه شيء. وعن عطاء عن ابن عباس قال: إن لله تعالى لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من يا قوت لله في كل يوم فيه ثلاثمائة وستون لحظة ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [6]. وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون.

[٤٠] ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ [7]، من العذاب قبل وفاتك، ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [8]، قبل ذلك، ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [1]، ليس عليك إلا ذلك، ﴿ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [2]، الجزاء يوم القيامة.

---

(١) سورة الرعد آية : ٣٩.

(٢) سورة الرعد آية : ٣٩.

(٣) سورة الإسراء آية : ١٢.

(٤) سورة الزمر آية : ٤٢.

(٥) سورة الرعد آية : ٣٩.

(٦) سورة الرعد آية : ٣٩.

(٧) سورة يونس آية : ٤٦.

(٨) سورة الرعد آية : ٤٠.

[٤١] قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ [٣] يعني: أهل مكة الذين يسألون محمدا ﷺ الآيات، ﴿ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ ﴾ [٤]، أكثر المفسرين على أن المراد منه فتح ديار الشرك، فإن ما زاد في ديار الإسلام فقد نقصر مع ديار الشرك، يقول: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ ﴾ [٥] فنفتحها لمحمد أرضا بعد أرض حوالي أرضهم، أفلا يعتبرون؟ هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة. وقال قوم: هو خراب الأرض معناه أو لم يروا أنا نأتي الأرض فنخربها وننلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل بهم ذلك؟ وقال مجاهد: هو خراب الأرض وقبض أهلها. وعن عكرمة قال: قبض الناس. وعن الشعبي مثله. وقال عطاء وجماعة: نقصانا موت العلماء، وذهاب الفقهاء قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ﴾ [٦] [٧].

﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ ﴾ [٨]، لاراد لقضائه ولا ناقض لحكمه، ﴿ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [٩].

---

(١) سورة الرعد آية : ٤٠.

(٢) سورة الرعد آية : ٤٠.

(٣) سورة الرعد آية : ٤١.

(٤) سورة الرعد آية : ٤١.

(٥) سورة الرعد آية : ٤١.

(٦) البخاري العلم (١٠٠)، مسلم العلم (٢٦٧٣)، الترمذي العلم (٢٦٥٢)، ابن ماجه المقدمة (٥٢)، أحمد (١٦٢/٢)، الدارمي المقدمة (٢٣٩).

(٧) أخرجه البخاري في العلم ١ / ١٩٤ ومسلم في العلم رقم (٢٦٧٣) ٤ / ٢٠٥٨.

(٨) سورة الرعد آية : ٤١.

(٩) سورة الرعد آية : ٤١.

[٤٢] ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [١]، يعني: من قبل مشركي مكة، والمكر: إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر، ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ ﴾ [٢]، أي: عند الله جزاء مكرهم. وقيل: إن الله خالق مكرهم جميعا بيده الخير والشر وإليه النفع والضر، فلا يضر أحد أحدا إلا بإذنه، ﴿ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٣] أي: عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة.

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٤].

[٤٣] ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ﴾ [٥]، إني رسول إليكم ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٦]، يريد مؤمني أهل الكتاب يشهدون أيضا على ذلك. قال قتادة: هو عبد الله بن سلام. وأنكر الشعبي هذا وقال: السورة مكية، وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة، وقال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [٧] أهو عبد الله بن سلام؟ فقال: وكيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية؟ وقال الحسن ومجاهد: ومن عنده علم الكتاب هو الله ﷻ يدل عليه قراءة عبد الله بن عباس، وَمِنْ

---

(١) سورة الرعد آية : ٤٢.
(٢) سورة الرعد آية : ٤٢.
(٣) سورة الرعد آية : ٤٢.
(٤) سورة الرعد آية : ٤٣.
(٥) سورة الرعد آية : ٤٣.
(٦) سورة الرعد آية : ٤٣.
(٧) سورة الرعد آية : ٤٣.

عِنْدِهُ بكسر الميم والدال أي: من عند الله عز وجل. وقرأ الحسن وسعيد بن جبير وَمَنْ عِنْدَهُ بكسر الميم والدال عُلِم الكتاب على الفعل المجهول، دليل هذه القراءة: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] وقوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ﴾ [2].

(١) سورة الكهف آية : ٦٥.

(٢) سورة الرحمن آية :١ - ٢.